ياواش ياواش: حين يستعير وكيل الولي الفقيه لسان خادم السلطان العثماني

11 أغسطس 2024

سياسة وتاريخ

5 دقيقة قراءة

ياواش ياواش: حين يستعير وكيل الولي الفقيه لسان خادم السلطان العثماني

في مسرحية هزلية تفوق خيال شكسبير، يقف حسن نصر الله، ذلك البهلوان المبايع للولي الفقيه الصفوي، ليفاجئ العالم بعبارة تركية: "ياواش ياواش". وكأن التاريخ قرر أن يرتدي قناع المهرج، فيجعل وريث الصفويين يستجدي لغة خصومه العثمانيين.

"ياواش ياواش"، أو "ببطء ببطء" بالعربية، عبارة تركية تُستخدم للدلالة على التمهل والتروي والهدوء، أو هي المرادف لقولنا بعاميتنا: "بشويش" أو "شوي شوي". لكن لماذا يلجأ زعيم حزب الله، حامل راية "المقاومة" المخرومة، إلى لغة الإمبراطورية العثمانية، رمز الاستعباد التاريخي للعالم العربي؟ هل هي صرخة استغاثة من لغة الضاد التي خذلته في

وصف "مقاومته" المترنحة؟ أم هو تمرد لغوي على الولي الفقيه، أم محاولة بائسة للتقرب من تركيا في زمن تهاوت فيه أصنام الشعارات الصفوية؟

هذا التناقض الصارخ - شيعي صفوي يتلعثم بلغة أعدائه التاريخيين السنة - يكشف عمق الهاوية الفكرية التي يتخبط فيها "محور المقاومة". فبدلاً من الاعتماد على الإرث الثقافي العربي أو حتى الفارسي، يلجأ نصر الله إلى التركية، وكأنه يرفع راية الاستسلام الأيديولوجي.

إن "ياواش ياواش" نصر الله تذكرنا بالشيخ حسني من فيلم "الكيت كات"، ذلك الأعمى

الذي يقود دراجة نارية في شوارع القاهرة. لكن الفرق شاسع؛ فالشيخ حسني كان يدرك عماه ويتحدى واقعه بشجاعة، بينما نصر الله وأمثاله يـدّعون البصـيرة وهـم غـارقون فـي عمـاهم الأيديولوجي، يقودون شعوبهم إلى الهاوية.

هذا المشهد السريالي يجرنا إلى ذاكرة السينما المصرية، حيث يقبع فيلم "طيور الظلام" كمرآة عاكسة لواقعنا المر. نتذكر عادل إمام ورياض الخـولي وهمـا يغنيـان "يـاواش يـاواش يـا مرجيحة". فتحي نوفل، المحامي الفاسد، وعلي الزنـاتي، المتطـرف الـديني، يجسـدان وجهيـن لعملة واحدة. في "طيور الظلام" نرى صراعاً بين الفسـاد والتطـرف والنزاهـة، أمـا فـي واقعنـا فنشهد تحالفاً غريباً بين الفساد والتطرف ضد

مصالح الشعوب. نصر الله وأمثاله يجمعون بين فساد فتحي نوفل وتطرف علي الزناتي، تاركين "محسن" النزيه - الشعوب العربية - ضحية لمؤامراتهم.

منذ 7 أكتوبر، وطوفان "الأقصى" المشؤوم، ونحن نشهد فصولاً متتالية من هذه المسرحية العبثية. أكثر من مائة ألف بين شهيد وجريح فلسطيني، قرابة 2.5 مليون مشرد، ودمار يقارب الـ 30 مليار دولار. والأرقام تتصاعد بوتيرة مخيفة، وكأننا في مشهد سوريالي من أفلام عادل إمام، نسمع صدى صوته يردد "الحسابة بتحسب" في ذلك المشهد الأيقوني الذي تحول من "أفيه" كوميدي إلى نبوءة مرعبة. لكن الحسابة اليوم لا تحصي جنيهات ولا حتى

دولارات فحسب؛ بل أرواحاً زكية.

والنتيجة؟ "ياواش ياواش" من نصر الله، وصمت أبكم من إيران، وكأننا في فيلم صامت لشارلي شابلن!

نصر اللات، ذلك البوق الإيراني المثقوب، يتنقل بين سراديب الضاحية، بعد مقتل معاونه الأول فؤاد شكر. أين صواريخكم الكرتونية التي هددتم بها العالم؟ كل هذا تبخر وتواريتم كالجرذان في مجاري الضاحية الجنوبية، لأن سيدكم الفارسي أثبت أنه لا يستطيع حماية ظله من شمس الحقيقة الحارقة.

في خضم هذه "التراجيكوميديا"، نتساءل: إلى متى سنظل نحن، الشعوب العربية، نرقص على أنغام هذه الأكذوبة الكبرى المسماة

"مقاومـة"؟ متـى سـندرك أن طريـق تحريـر فلسطين لا يمر عبر أنفاق حماس المظلمة ولا صـواريخ إيـران الورقيـة، ولا حتـى عـبر قـاموس لغوي مستعار من أعداء الأمس؟

ربما حان الوقت لنغير الأغنية. بدلاً من "ياواش ياواش"! علينا أن نصرخ "يلا بسرعة" نحو التنمية الحقيقيـة، والمقاومـة الفعليـة، والعلـم النـافع. فقط عندها، قد نجد أنفسنا حقاً على طريق التحرير والسلام العادل، لا على هامش التاريخ نتسول البطولات الوهمية من تجار الأوهام في طهران.

في النهاية، نحن لسنا في فيلم يمكن أن ننهيه بمشهد بطولي أو نهاية سعيدة. نحن أمام واقع

مرير يتطلب منا أكثر من مجرد مشاهدة سلبية. علينا أن نكون "محسن" الحقيقي، الذي يقف فـي وجـه الفسـاد والتطـرف معـاً. وإلا فـإن "ياواش ياواش" نصر الله ستتحول إلى مرثية لأمـة كاملـة، تمـوت ببـطء علـى أنغـام أكـاذيب المقاومة الزائفة.

وأخيراً، سؤال يحرق الأعماق: إذا كان نصر الله يتحـــدث التركيـــة، وإيـــران تتـــاجر بالقضيـــة الفلســطينية، وقــادة حمــاس يغرقــون فــي المليارات، بينما غزة تغرق في الدماء، فمن هو العدو الحقيقي لأمتنا؟ هل هو إسرائيل التي نعرفهـا، أم تلـك الأصـنام التـي صـنعها بعضنـا بأيـدينا ويعبـدونها باسـم "المقاومـة"؟ وإذا كنـا نحتاج إلى "ياواش ياواش" لنفهم خطاب قادة

"الممانعة" و"الصمود"، فكم من الوقت نحتاج لنستيقظ من هذا الكابوس الذي يسمونه "نصراً"؟ أم أننا سنظل ننتظر "الفرج" حتى يأتينا الموت "ياواش ياواش"، ونحن نهتف بلغة لا نفهمها، لقضية لم نعد نعرفها؟ و"هيلا هيلا هوبا"!

مواضيع مرتبطه

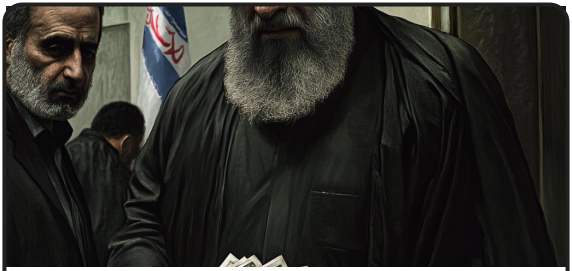

مصر وعاهرات السياسة: من كورش إلى خامنئي، تاريخ الخيانة المقدسة

من غزة إلى طهران: رحلة حماس في سوق النخاسة .. والسعوديون لا يبكون على هنية

للمرة الألف: إيران تخيط بكارتها وإسرائيل تفضها.. صواريخ من ورق وأبطال من كرتون